مجلة العلوم الانسانية، ١٤٢٥/٢٠٠٤ هـ. ق، العدد ١١ (٤):١-١٠

ظاهرة التضمين في القرآن

خليل پرويني[١] ، جميل جعفري[٢]

التضمين عبارة عن: تصحيح تعلق منصوب فعل او شبهه من الاسم وشبه الجملة بتقدير عامل مناسب معنىً وعملا واضافة معناه الى العامل المذكور، او على ما اعتقده الكوفيون: تصحيح تعلق حرف بالعامل السابق بواسطة تقدير معنى حرف او ظرف متعلق بالعامل من حيث المعنى.

التضمين من الظواهر التي تلعب دورا وظيفيا هاما في اللغة العربية لا سيما في القرآن الكريم وفي حقل التفسير. قد عني علماء كثيرون عبر التاريخ بهذه الظاهرة فاننا نجد البصريين والكوفيين والبغداديين والمصريين والاندلسيين من النحويين قد حاولوا ان يجدوا حدا علميا دقيقا لهذه الظاهرة لكنهم مع هذه الجهود الجبارة لم يصلوا بعد الى تحديد علمي يجعل الباحث مكتفيا به. اهمية هذه الظاهرة من جانب والدور الايجابي الذي تلعبه من جانب آخر، بعثاني وحفزاني لكي ابذل ما في وسعي واشمر عن ساعدي في الحصول على حلول علمية تجاه مسائل التضمين العديدة.

انني ركزت مسار هذا البحث على ثلاثة محاور:

١- هل يمكن تقديم تعريف جديد لهذه الظاهرة؟

٢- ما هي الادوار الوظيفية الهامة التي يلعبها التضمين؟

٣- ما هي مكانة التضمين في علم البيان؟

الكلمات الرئيسة: القرآن الكريم، النحو، ظاهرة التضمين.

التضمين لغة[١] كما قال اللغويون يدل على معان ثلاثة:

١- المرض الدائم ٢- الكفالة والضمانة ٣- ايداع الشيء ظرفا وستره حيث لا يتنبه له الناس، اما بالنسبة للمعنى الاصطلاحي الذي نحن بصدده والذي يمر علينا بعد قليل، فان المعنى الاخير يبدو قريبا منه لأن التضمين في النحو بمعنى ايداع معنى وجعله فيه حيث لا يتنبه عليه الا بواسطة قرينة حالية او مقالية.

١- استاذ مساعد في جامعة اعداد المدرسين (تربيت مدرس)

٢- طالب اللغة العربية في مرحلة الدكتوراه بجامعة اعداد المدرسين (تربيت مدرس)

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2024-04-20]

[DOR: 20.1001.1.23834269.1425.11.4.1.0]

هذا المصطلح يوجد في علوم شتى مـن العـروض والبديع والمعان والبيان والنحو، وفي كل هذه العلوم يجد حدا خاصا حيث يفرقه عن العلم الآخر. ففي العروض قد حدده ابن رشيق بقوله: (والتضمين ان تتعلق القافيـة او لفظة مما قبلها بما بعدها)[٢] ومثل له بقول النابغة:

وهم وردوا الجفار على تميم
وهم اصحاب يوم عطاظ اني
شهدت لهم مواطن صالحات
وثقت لهم بحسن الظن مني[٣]

يرى ابن الرشيق ان التضمين العروضي يعد عيبـا على صاحبه ويقول: (كلما كانت اللفظة المتعلقة بالبيت الثاني بعيدة عن القافية كان اسهل عيبا من التضمين)[٤].

وفي البديع نرى ان العلماء اسهبوا في تحديده وبيان موقعه فانم قسموا هذه الظاهرة الى التضمين والاقتبـاس وعرفوا كلا منهما على حدة، فالتضمين في رأي الجرجاني عبارة عن: (تضمين الشاعر شعره من شهر غيره، فـان كان المأخوذ بيتا او اكثر سمي استعانة، وان كان مصراعا فما دونه سمي ابداعا او رفوا)[٥]. وفي نظر القزويني: (هـو ان يضمن الشاعر شيئا من شعر الآخرين مع التنبيه عليـه ان لم يكن مشهورا عند البلغاء)[٦]. اما الاقتبـاس فعرفـه القزويني بقوله: (هو ان يضمن الكلام شيئا من القـرآن والحديث لا على انه منه)[٧]. ومثل له بقول ابي القاسم بن الحسن الكاتبي:

ان كنت ازمعت على هجرها
من غير ما جرم فصبر جميل[٨]
وان تبدلت بنا غيرنا
فحسبنا الله ونعم الوكيل[٩]

وعرفه الجرجاني بتضمين الكلام شيئا من القرآن او الحديث[١٠].

في مجال علم المعاني نجد الرماني اول من اهتم بتعريفه حيث يقول: (تضمين الكلام هو حصول معنى فيه من غير ذكر له باسم او صفة هي عبارة عنه، والتـضمين علـى وجهين: احدهما ما كان يدل الكلام عليه دلالة الاخبـار والآخر ما يدل عليه دلالة القياس، فالاول كذكرك الشيء بأنه محدث فهذا يدل على المحدث دلالة الاخبار والتضمين في الصفتين جميعا، واما التضمين الذي يدل عليه دلالـة القياس فهو ايجاز في كلام الله عز وجل خاصة، لأنه تعالى لا يذهب عليه وجه من وجوه الدلالة، فنصبه لها يوجـب ان يكون قد دل في كل وجه يصح ان يدل عليه وليس كذلك سبيل غيره من المتكلمين بتلك العبارة لأنه قد تذهب اليـه دلالتها من جهة القياس.. فمن ذلك: **بـسم الله الـرحمن الرحيم** قد تضمن التعليم لاستنتاج الامور على التبرك بـه والتعظيم لله بذكره وانه ادب مـن آداب الـدين وشـعار للمصلين)[١١]. حينما نتأمل التاريخ لا نجد احدا سـمى هـذا النوع من التضمين تضمينا معانيا لكنني بعد دراسة دقيقة لهذا التعريف والتعاريف المضاهية له وجدته يحوم حول علم المعاني لأن الغرض منه الايجاز كما صرح به الباقلاني[١٢].

التضمين الذي درسناه في ظل العلوم المذكورة مـن معان وعروض وبديع، لا يتعلق به كثير الغرض في هـذا البحث لأنه لا يلعب دورا هاما في تعليل المشاكل النحوية وتوجيهها ولا يدل المفسر الى تفسير بعض الآيات القرآنية وتأويلها. اما التضمين الذي يفيد النحويين والمفسرين فهو التضمين النحوي الذي يرشد النحوي والفقيـه الى مـا يهمهما.

قد مر على التضمين النحوي مراحل عديدة واطـوار مختلفة بلغ من جرائها نضجا وكمالا نسبيا، فاننا نجد سيبويه اول من اهتم به واستخدمه كأداة في تأويل المشاكل النحوية، اذ يقول: (جعلوا عسى بمنزلة كان في قولهم عسى الغـوير ابؤسا)[١٣]. لكن ظاهرة التضمين لم تحدد كمصطلح ذي شأن في زمن سيبويه بل نجد اول تعريف له كمصطلح يظهـر في زمن البغداديين على ايدي ابن جني.

هكذا تمضى العصور ويتكامل التضمين شيئا فشيئا حتى نصل الى العصر الحديث، حيث نرى العلماء في مجمع اللغة العربية يبحثون حوله مهتمين به ومـدركين شـأنه ولكنهم بعد عناء طويل وجهد بليغ لا يصلون الى شـيء يعتنى به غير قرار على قياسية التضمين بـشروط ثلاثـة:

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2024-04-20]

[DOR: 20.1001.1.23834269.1425.11.4.1.0]

١- ملاءمة التضمين للذوق العربي ٢- تحقق المناسبة بين الفعلين ٣- وجود قرينة تدل على ملاحظة الفعل الآخر ويؤمن معها اللبس[١٤].

لابد هنا من القول بأن التضمين النحوي ينقسم الى قسمين: التضمين البصري والتضمين الكوفي، وسبب هذا الانقسام هو تأخر الكوفيين عن البصريين في الاخذ بقواعد اللغة فانم اتخذوا الطرق الروائية للنحو حيث ان البصريين اتخذوا الاسلوب الاستدلالي لترسيخ دعائم هذا العلم. نعم ان البصريين رأوا التجوز في الفعل اكثر منه في الحرف وابلغ[١٥] لان اشراب الفعل معنى فعل آخر يفضي الى دلالة كلمة واحدة على معنيين متغايرين في آن واحد[١٦] وهذا ابلغ من دلالة اللفظ على معنى واحد. من جانب آخر حسب الكوفيون التجوز في الحرف اسهل فانم قدروا حلول الحرف مكان الحرف.

هذا وبعد دراسة تاريخية دقيقة عندما نستقصي كل ما جاء حول تعريف التضمين النحوي نجده بالغا ثمانية:

١- تعريف ابن جني: اعلم ان الفعل اذا كان بمعنى فعل آخر وكان احدهما يتعدى بحرف والآخر بآخر فان العرب قد تتسع فتوقع احد الحرفين موقع صاحبه ايذانا بأن هذا الفعل في معنى ذلك الآخر فلذلك جيء معه بالحرف المعتاد مع ما هو في معناه وذلك كقول الله عز اسمه: **احل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم** وانت لا تقول رفثت الى المرأة وانما تقول رفثت با او معها لكنه لما كان الرفث هنا في معنى الافضاء وكنت تعدي افضيت بالى كقولك افضيت الى المرأة جئت بالى مع الرفث ايذانا واشعارا انه بمعناه[١٧].

الاشكال: انه حدد التعريف في الفعل ومثل له بالتضمين الاسمي وهذا يعد تناقضا وايضا حصره في الفعل المتعدي بواسطة الحرف.

٢- تعريف الزمخشري: من شأنم انم يضمنون الفعل معنى فعل آخر فيجرونه مجراه ويستعملونه استعماله مع ارادة المعنى المتضمن. والغرض في التضمين اعطاء مجموع معنيين وذلك اقوى من اعطاء معنى، الا ترى كيف رجع معنى قوله تعالى: **ولا تعد عيناك عنهم**[١٨] الى **ولا تقتحمهم عيناك** مجاوزتين الى غيرهم[١٩].

الاشكال: نفس الاشكال الموجود في التعريف السابق لأنه ايضا حصر التضمين في الفعل.

٣- تعريف عز بن عبد السلام: تضمين اسم معنى اسم لافادة معناه فتعديه تعديته في بعض المواضع كقوله تعالى: **حقيق على ان لا اقول على الله الا الحق**[٢٠] فتضمن حقيق معنى لفظ آخر فتعديه تعديته، وكقول الشاعر:

قد قتل الله زيادا عني

ضمن قتل معنى صرف لافادة انه صرفه حكما بالقتل عما عداه من الاسباب فأفاد معنى القتل والصرف جميعا[٢١].

الاشكال: انه حصر التضمين في الاسم لكنه مثل بمثالين احدهما اسم والآخر فعل وايضا لا ينحصر الحكم في التعدي الى المفعول به فحسب، بل يشمل تعلق المصدر والظرف به.

٤- تعريف ابن هشام: قد يشربون لفظا معنى لفظ آخر فيعطونه حكمه ويسمى ذلك تضمينا وفائدته ان تؤدي الكلمة مؤدى كلمتين[٢٢].

الاشكال: التعريف غير مانع لأنه لم يشر الى نوع الحكم.

٥- تعريف الاشموني: والتضمين اشراب اللفظ معنى لفظ آخر واعطاؤه حكمه لتصير الكلمة تؤدي مؤدى كلمتين[٢٣].

الاشكال: لم يعين نوع الحكم المعطى اياه.

٦- ابن كمال باشا: التضمين ان يقصد بلفظ معناه الحقيقي ويلاحظ معه معنى لفظ آخر يناسبه ويدل عليه بذكر شيء من متعلقات الآخر كقولك: **احمد اليك فلانا** فقد لاحظت فيه مع الحمد معنى الاناء ودللت عليه بذكر صلته اعني كلمة الى كأنك قلت اني حمده اليك، وانما اطلقنا اللفظ لينتظم الاسم[٢٤].

الاشكال: انه قد حصر القرينة في شيء مذكور من متعلقات اللفظ الآخر، لكن القرينة احيانا لا يكون مذكورا كالتضمين بين فعل متعد وفعل لازم.

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2024-04-20]

[DOR: 20.1001.1.23834269.1425.11.4.1.0]

٧- مجمع اللغة العربية: التضمين ان يؤدي فعل او ما في معناه في التعبير مؤدى فعل آخر او مـا في معنـاه فيعطى حكمه في التعدي واللزوم[٢٥].

الاشكال: التعريف لم يبلـغ الدقـة اللازمـة لأن التناسب الذي قد جاء ضمن شروط قياسية التـضمين لم يشر اليه فيه، فالتعريف يجب ان يكون مانعا عما ليس منه وجامعا لما ينطوي تحته.

٨- الدكتور خليفة شوشتري: التـضمين هـو ان يشرب العرب الفصحاء لفظا معنى لفظ آخر فتنعقد بـذلك المشابة بينهما، فيأخذ اللفظ المشرب حكم اللفظ الآخـر ومعناه، سواء اكان اللفظان فعلين، ام اسمين، ام حـرفين ام مختلفين[٢٦].

الاشكال: ان الدكتور قد جمع بذا التعريف بـين التضمين الكوفي والتضمين البصري بينما يكون التعريفان مانعي الجمع. سأوضح هذا الامر اكثر.

هكذا نصل الى نتيجة بارزة وهي لزوم تقديم تعريف دقيق وجامع ومانع لا يشمل اي اشكال.

الحد الجديد: التضمين البصري: هو تصحيح تعلـق منصوب فعل او شبه فعل بواسطة تقدير عامل مناسـب معنى وعملا واضافة معناه الى العامل المذكور.

التعلق هنا يشمل تعلق المفعول به والمفعول المطلـق والمفعول فيه لا غير وشبه الفعل يشمل اسم الفاعل واسم المبالغة واسم المفعول والصفة المشبهة وشبه الجملة، واضافة معنى العامل المقدر الى العامل المذكور يكون اما بواسـطة عطفهما او جعل احدهما حالا منصوبا عن الثـاني كمـا اشار اليه الزمخشري او السعد[٢٧]. فعلى هذا الاساس يشمل التضمين البصري الانواع التالية: بين الاسمين الـشبيهين للفعل، بين الفعلين، بين الحرف والفعل.

التضمين الكوفي: تصحيح تعلق حـرف بالعامـل السابق بواسطة تقدير معنى حرف او ظرف متعلق بالعامل من حيث المعنى.

على اساس التعريف نستنتج ان التضمين الكـوفي يشمل التضمين القائم بين حرفي الجـر، وبـين الحـرف والاسم (الظرف).

يجدر بنا الاشارة الى نكتة هامة: لا يمكن اجـراء التضمين الكوفي على حرف لا يتعـدى العامـل فيـه بواسطة الحرف (العامل امـا لازم وامـا متعـد بـلا واسطة). فيعلم ان الاسلوب البصري اعم منه. ويصح لنا القول بأن بين مصاديق الحالتين يوجد نسبة العموم والخصوص المطلق.

الصور المتعددة للتضمين في القرآن:

١- بين الاسمين: احل لكم ليلة الصيام الرفـث الى نسائكم[٢٨]

التعليل البصري: احل لكم ليلة الـصيام والرفـث مفضين الى نسائكم

التعليل الكوفي: احل لكم ليلـة الـصيام الرفـث بنسائكم

٢- بين الفعلين: وما جعلنا القبلة التي كنت عليها الا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه [٢٩]

التقليل البصري: الا لنعلم من يتبع الرسول ونميزهم ممن ينقلب على عقبيه

التقليل الكوفي: لا يمكن لأن علم لا يتعدى بالحرف

تنبيه: الدكتور خليفة شوشتري يعـد ١٥ نوعـا لهـذه الصورة مستقصى من القرآن الكريم ومن الشعر[٣٠]

٣- بين الحرف والفعل: فقل هـل لـك الى ان تزكى[٣١]

التعليل البصري: فقل هل ادعوك الى ان تزكى

التعليل الكوفي: فقل هل لك في ان تزكى

٤- بين الحرفين: فانما يبخل عن نفسه[٣٢]

التعليل البصري: فانما يبخل مانعا عن نفسه

التعليل الكوفي: فانما يبخل على نفسه

٥- بين الحرف والظرف: من انصاري الى الله[٣٣]

التعليل البصري: ادعو انصاري الى نصرة الله

التعليل الكوفي: من انصاري مع الله

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2024-04-20]

[DOR: 20.1001.1.23834269.1425.11.4.1.0]

بما مر عليكم درسنا حد التضمين الكوفي والبصري وصورهما المختلفة كالمحور الاول للبحث. اما في بداية المقالة فتكلمنا عن دور التضمين الايجابي. فما هو هذا الدور؟

منذ بداية وضع علم النحو، علم النحاة بأن فيهم دافع ذاتي يجلبهم نحو تنظيم اسس هذا العلم وترتيبها تحت اصول وقواعد قياسية. انم في الوصول الى هذه الغاية استخدموا الاصول المنطقية بما فيها اصل **الاصل والفرع**. على اساس هذا الاصل يجعل كل قاعدة اغلبية كأصل وينقاس عليها ما يعتري اللغة من الحالات المختلفة وما يخالف هذا الاصل يعد فرعا عنه. الاصل في رأيهم لا يحتاج الى دليل، اما الفرع فيكون بحاجة ماسة الى دليل كي يعلل خروجه عن الاصل وعدوله عنه. التضمين حقا لعب دورا هاما في هذا المضمار بحيث علل العلماء به الفروع الخارجة عن الاصل.

الف) الاعراب والبناء: ١- الاسم: قال العلماء باصالة الاعراب في الاسم لأن الغالب في هذا القسم من الكلمة ان يكون معربا. لكننا في اللغة العربية نواجه عددا من الاسماء قد خرجت وعدلت عن هذا الاصل مثل الضمير واسم الاشارة واسم الفعل واسم الموصول واسم الاستفهام واسم الشرط وبعض من الظروف واسم لا النافية للجنس و.. في بيان هذا التعليل ضمن النحويون معنى الحرف في هذه الاسماء حيث قالوا: الضمير يشبه الحرف شبها وضعيا فيتضمنه ويأخذ حكمه فيصير مبنيا[٣٤]. واسم الاشارة يشبه حرفا كان من حقه ان يوضع لأن المعاني تفاد بالحروف لكنه لم يوضع، شبها معنويا فيتضمنه ويأخذ حكمه فيصير مبنيا[٣٥]. اسم الشرط واسم الاستفهام يشبهان حرفا موجودا هما همزة الاستفهام وان الشرطية[٣٦]. اسم الفعل يشبه الفعل او الحرف لأنه يؤثر ولا يتأثر مثلهما[٣٧]. واسم الموصول ايضا يشبهه شبها افتقاريا من حيث انه يحتاج الى صلة لتبين معناه كما يحتاج الحرف الى اسم او فعل لبيان معناه[٣٨]. هكذا نجد كل الاسماء المبنية متضمنا معنى الحرف فالظرف يتضمن حرف في[٣٩] واسم لا النافية يتضمن حرف من لأن النكرة في سياق النفي والاستفهام يصير عاما اذا كان مجرورا بالحرف[٤٠] و..

٢- الفعل: في مجال الفعل اذعن النحويون بأن الاصل فيه البناء وما خالف الاصل يصير معربا وخارجا عن الاصل. اذا دققنا النظر نرى ان المضارع هو الفعل الوحيد الذي صار معربا فكيف علل النحاة هذا التفرع؟ على رأيهم هذا الفعل يشبه ويضارع الاسم، لأنه: ١- يقع صفة كما هو حال الاسم ٢- لا ينحصر في بيان معنى واحد لأنه يأتي لبيان الحال والمستقبل من الازمنة ٣- تتوارد لام المزحلقة عليه كما يدخل على الاسم بخلاف الفعل الماضي ٤- يدخل عليه ان الناصبة المصدرية كما يدخل نظيرها على الاسم وهو ان المشبهة الفعل، فهذه المضاهاة يسبب ان يتضمن المضارع معنى الاسم ويصير معربا مثله[٤١].

ب) اللزوم والتعدي: ابن هشام والاشموني اشاروا الى التضمين كأداة في جعل اللازم متعديا وجعل المتعدي لازما. فالاشموني يقول مبينا هذا الواقع: (التضمين لمعنى لازم يجعل المتعدي لازما.. نحو: [**فليحذر الذين يخالفون عن امره**][٤٢]، اي يخرجون عن أمره، [**ولا تعد عيناك عنهم**][٤٣]، اي تنب، [**اذاعوا به**]، اي تحدثوا به)[٤٤].

وابن هشام هو الآخر يشرح هذا الامر ويكتب: (السادس التضمين فلذلك عدي رحب وطلع الى مفعول لما تضمنا معنى وسع وبلغ وقالوا: **فرفت زيدا وسفه نفسه**، لتضمنها معنى خاف وامتهن او اهلك، ويختص التضمين عن غيره من المعديات بأنه قد ينقل الفعل الى اكثر من درجة ولذلك عدي الوت بقصر الهمزة بمعنى قصرت، الى مفعولين بعد ما كان قاصرا وذلك في قولهم: **لا آلوك نصحا ولا آلوك جهدا** لما ضمن معنى لا امنعك ومنه قوله تعالى: [**لا يألونكم خبالا**][٤٥] وعدي اخبر وخبر وحدث وانبأ ونبأ الى ثلاثة لما ضمنت معنى اعلم وارى بعد ما كانت متعدية الى واحد بنفسها والى آخر بالجار نحو: [**انبئهم بأسمائهم**][٤٦])[٤٧].

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2024-04-20]

[DOR: 20.1001.1.23834269.1425.11.4.1.0]

فعلى اساس التضمين نعلل اي فعل خـالف اصـل وضعه من التعدي واللزوم.

ج) النيابة: هي تعد من المسائل المخالفة للأصل في العربية. ان العلماء قد استخدموا التضمين لتعليـل هـذا الخروج. النيابة تتجلى وتتمثل في انواع عديدة منها:

١- النائب عن الفاعل: انه المعفول اصالة ومعـنى لكنه تضمن معنى الفاعل اذ يلعب دور الفاعـل للفعـل اللازم لأن المهول يشبه اللازم في اكتفـاءه الى واحـد. فالنائب عن الفاعل يأخذ حكمه في تأخره عـن العامـل ولزوم افراد العامل ولزوم مطابقة الفعل معه من حيـث التذكير والتأنيث.

٢- الفاعل الساد مسد الخبر: الصفة الواقعة بعـد النفي والاستفهام المكتفية بفاعله الظاهر او الضمير البارز، يلعب دور المبتدأ ويتضمن فاعله معنى الخبر مـن حيـث اكتفاء العامل به وتمامية الفائدة به (يحسن السكوت عليه) فيأخذ دور الخبر.

٣- شبه الجملة الساد مسد الخبر: كما نعلم، ان شبه الجملة لا يمكن ان يكون خبرا بل انه نائب عـن الخبر لأن المعنى يتم به بحيث يحسن الـسكوت عليـه فيأخذ حكم الخبر.

٤- نيابة الفعل والحرف في العمل: من البديهي ان العمل للفعل والحرف لا غير والحرف يعمل الجـر والجزم واما الفعل فيعمل الرفع والنصب. فما نشاهده في العربية مخالفا لهذا الاصل وعادلا عنه يعـد فرعـا محتاجا الى التعليل:

الفعل الجازم: في لا تدن من الاسد تسلم اعتبر ابن هشام العامل لجزم الجزاء فعل النهي، لكنه يخالف الاصل وعلل الخليل وسيبويه هذه المـسألة بتـضمن معـنى ان الشرطية في الفعل الطلبي فاتخذ حكمه وجزم الجزاء[٤٨].

الحرف الناصب ثم الرافع: الحروف الشبيهة بالفعل تضمنت معنى الفعل لأن هذه الحروف قد ضارعت الفعل معنى ووضعا فيأخذ حكمه ويعمل عكسه لأنه فـرع في العمل منه[٤٩].

الا الاستثنائية: حسب ابن هشام العامـل لنـصب المستثنى الا، لكنه يخالف الاصل فلابد من تضمينها معنى الفعل (مثل استثني) لكي يصح العمل[٥٠].

الحرف الرافع ثم الناصب: الحروف الشبيهة بلـيس تتضمن معنى ليس فيقدر ان يتخذ حكمه ويعمل عمله[٥١].

الاسم الجار: بعضهم اعتبر المضاف هو العامـل في جر المضاف اليه لكن الاسم لا يعمل الا بتـضمن معـنى عامل ملائم فتضمن المضاف معنى الجار (لام، في، مـن) فعمل الجر في قرينه.

الاسم الرافع والناصب: بعض من الاسماء كاسـم الفاعل والمفعول والمبالغة والتفضيل والمصدر والصفة المشبهة تتخذ حكم الفعل وتعمل مكانه. علة هـذا الامر هو تضمين معنى الفعل في هذه الاسماء لأن الاسـماء المذكورة آنفا تشبه الفعل حيث تدل على العمل (الفعـل يدل على العمل والزمان فالعمل يعد احد مدلوليه)[٥٢].

٥- نيابة الحرف عن الحرف: كما اشرنا سابقا انكر الكوفيون التضمين البصري او التضمين في الفعل وما شابه، وادعوا التجوز في المتعلق والحرف لا في العامل والفعل. فعلى مذهبهم نقدر تضمين حرف معنى حرف آخر لأنـه اتخـذ حكمه وتعلق بالفعل الذي لا يتعلق به نحويا. مثل: **فأسأل به خبيرا**[٥٣] اي فأسأل عنه خبيرا و**ولأصـلبنكم** في **جـذوع النخل**[٥٤] اي ولأصلبنكم على جذوع النخل.

د) المسائل المتفرقة: علاوة على ما ذكرته اشـار السيد الدكتور خليفة شوشتري في مقالته[٥٥] الى وظـائف اخر للتضمين لا يمكن ادخالها تحت الاقـسام المـذكورة اعلاه، فها هي هذه الامور:

١- دلالته على حيوية اللغة العربية وقدرتها علـى استمرار معايشتها ومواكبتها للانسان.

٢- ان بعض العلماء كابن جني استدلوا بالتضمين على وجود لفظين في اللغة بمعنى واحد.

٣- ان كلمة واحدة تأخذ حكم كلمة اخرى وتدل على معنى الكلمتين في آن واحد فالغرض من التـضمين الايجاز.

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2024-04-20]

[DOR: 20.1001.1.23834269.1425.11.4.1.0]

٤- انه طريق دلالة الفعل الموجب على النفي، وطريق لاجازة رفع الاسم بعد الا بعد ان كان حكمه النصب. مثال ذلك توجيه الزمخشري لقراءة ابي والاعمش [**فشربوا منه الا قليل منهم**][٥٦] حيث ذهب الى ان شربوا مضمن معنى لم **يطيعوه** وبناء على ذلك جاز رفع قليل لأنه صار بدلا من الفاعل.

٥- انه يلعب دورا مفيدا في التفسير.

****

بذا نصل الى المحور الثالث والاخير للدراسة وهو تقييم مكانة التضمين في البيان.

ان العلماء حاولوا ان يميزوا بين التضمين البياني والتضمين النحوي لكننا من خلال الدراسة الطويلة لهذه الظاهرة وصلنا الى نتيجة صارمة: ان التضمين في هذين الحقلين لا يختلفان حدا وعملا. فما هو منشأ هذا الخلاف التليد؟ في الجواب يجب ان اقول: اساس هذا التباين يرجع الى المحاولات العديدة من قبل العلماء لتعيين نوع التضمين في علم البيان فبعد ظهور التضمين اوليا في علم النحو، اهتم العلماء بالوجوه الجمالية لهذه الظاهرة والدور الذي تلعبه في ايصال المعنى وترسيخه في نفوس السامعين وتبين لهم ان هذه الظاهرة ذات شأن في هذا المال كما هو حال الاستعارة والمجاز الكناية، فاجتمعوا حول التضمين وسعوا في تحديد مكانته في البيان على اساس الاصول المتفقة عليها فيه. لكنهم قد تفرقوا واختلفوا اختلافا شديدا واضطربوا كثيرا لأن التعريف النحوي الذي قدمه العلماء الاوائل والفائدة التي احتوى عليها التضمين (دلالة اللفظ الواحد على معنيين مختلفين في آن واحد) حال دون هذا التفكير وهذا التحديد. التضمين في علم النحو يدل على معنيين مجازي وحقيقي في آن واحد ولا يوجد حتى ظاهرة واحدة شأنا شأنه في علم البيان. فالعلماء ترددوا ازاء مسألة تقييم التضمين بيانيا ووقفوا على عتبتها لا يتحركون وتشبثوا بكل حشيش للتمكن من هذا الامر. نعم انهم قد تفرقوا ازاء هذا التحديد واصبحوا خمس فرق:

الفرقة الاولى: التضمين هو المجاز المرسل، يعد ابن جني والزمخشري من اعلام هذه الفرقة.

الفرقة الثانية: التضمين هو الحقيقة، سعد الدين التفتازاني ينتمي الى هذه الفرقة.

الفرقة الثالثة: التضمين جمع بين المجاز والحقيقة، من روادها ابن هشام وعز بن عبد السلام والسيوطي.

الفرقة الرابعة: التضمين هو الكناية، لعل الدسوقي اول من صدر هذه الفكرة.

الفرقة الخامسة: التضمين يدل على الحقيقة التي يتبعها معنى ثانوي مثل الدلالة التبعية لفعل النهي على التهديد ولفعل الامر على التعجيز، مير سيد شريف الجرجاني يحسب صاحب هذا الرأي.

غير انه كما اشرنا اليه آنفاً لا يجوز الجمع بين الحقيقة والمجاز عند علماء البيان لأن القرينة تمنع منه فالفرقة الثالثة تمسكوا بتبرير علماء الاصول حيث اجازوا هذا الجمع لكن الفرق المتبقية لاحظوا علم البيان اكثر من الاصول فتمسكوا بأقوال وآراء لا يستلزم الجمع بينهما.

بيان اشكال الآراء السالفة الذكر:

الف) المجاز يختلف اختلافا جذريا مع التضمين لأن قرينة الاول تكمن في المعنى وقرينة الثاني توجد في اللفظ، فلا يتنبه للمجاز الا من يعلم معنى العبارة (لا النحو) التي احتوت عليه وايضا لا يتنبه للتضمين الا من يعرف النحو (لا معنى العبارة) من حيث تعدي الفعل ولزومه.

ب) اولئك الذين قالوا بحقيقية التضمين تمسكوا بتقدير حال منصوب للفظ المقدر بعد اللفظ المذكور، الامر الذي يعد نوعا من المجاز (مجاز الحذف) فيردّ كما ردّ الرأي الاول.

ج) رأي الفرقة الثالثة مردود من اساسه عند البيانيين.

د) يختلف التضمين عن الكناية من وجهين: الاول: في الكناية يجوز الجمع بين المعنى الكنايي والمعنى الحقيقي بينما يجب هذا الامر في التضمين. الثاني: في الكناية يعد احد

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2024-04-20]

[DOR: 20.1001.1.23834269.1425.11.4.1.0]

المعنيين (الكنايي) تمام غرض المتكلم والثاني (الحقيقي) وسيلة للوصول اليه. فبهذا يندفع القول بكنائية التضمين.

ه) لا يعد التضمين من قبيل مستتبعات الكـلام لأن:

١- العبارة الدالة على المعاني التبعية تعتمد على القرائن الحالية بينما الامر ينعكس في التضمين لأنه يعتمد على الدالة القرينة المقالية واللفظية. ٢- العبارة مثلا على التهديد تبعيا، تـتغير دلالته بتغير الحال والمقام فيدل في ظروف اخـرى علـى الاستمالة او على معاني اخرى، بينما التضمين يدل علـى معنى ثابت لا يتغير بتغير المقام والحال والظروف.

فبهذه الدراسة الشاملة المبتنية على التعليل الصحيح نصل الى القول بأن التضمين يعد نوعا خاصـا في علـم البيان.

فيجب على البيانيين ان يعتبروا التـضمين القـسم الرابع من علم البيان:

البيان:

١- التشبيه (عند بعض العلماء، لأن كثرتم على ان التشبيه لا يعد من هذا العلم وانما جيء به كمقدمة لفهم الاستعارة).

٢- المجاز (المرسل، الاستعارة)

٣- الكناية

٤- التضمين

****

هكذا نصل الى نهاية هذا البحث الشامل الذي يعد جديدا في نوعه مستنتجين ان لظاهرة التضمين دوراً ايجابياً هاماً في توجيه المشاكل النحوية وفي التفـسير فيجـب ملاحظتها واستخدامها كاملا للحصول على نتائج مذهلة في حقل التفسير والتأويل والتوجيه والتعليل.

هوامش

١- خليل، ازهري، جوهري، زمخشري، وغيرهم

٢- ابن رشيق، العمدة، ج ٢، ص ٨٤

٣- النابغة الذبياني، ديوان الشعر، ص ١٢٢

٤- نفس المرجع

٥- محمد بن علي الجرجاني، الاشارات والتنبيهات، ص ٣١٧

٦- الخطيب القزويني، تلخيص المفتاح، ص ٢٠١

٧- القزويني، تلخيص المفتاح، ص ٢٠٠

٨- سورة يوسف، الآية ١٨

٩- سورة آل عمران، الآية ١٧٣

١٠- محمد بن علي الجرجاني، الاشارات والتنبيهات، ص ٣١٧

١١- الرماني، النكت في اعجاز القرآن، ص ٩٤

١٢- ابوبكر الباقلاني، اعجاز القرآن، ج ١، صص ٢٦٢ و٢٧٢ و٢٧٣

١٣- سيبويه، الكتاب، ج ١، ص ٥٠

١٤- عباس حسن، النحو الوافي، ج ٢، ص ٥٥٢

١٥- ابن هشام، مغني اللبيب، ج ٢، ص ٨٦١

١٦- الاشموني، شرح الالفية، ج ٢، ص ٩٥

١٧- ابن جني، الخصائص، ج ٢، صص ٣٠٨ و٣٠٩

١٨- سورة الكهف، الآية ٢٨

١٩- الزمخشري، الكشاف، ج ٢، صص ٧١٦ و٧١٧

٢٠- سورة الاعراف، الآية ١٠٥

٢١- خالد الازهري، شرح التصريح على التوضيح، ج ٢، ص ٤

٢٢- ابن هشام، مغني اللبيب، ص ٨٩٧

٢٣- الاشموني، شرح الالفية، ج ٢، ص ٩٥

٢٤- عباس حسن، النحو الوافي، ج ٢، ص ٥٣٢

٢٥- نفس المرجع، ج ٢، ص ٥٥٢

٢٦- الدكتور ابراهيم خليفة شوشتري، مجلة العلوم الانسانية، ص ١

٢٧- عباس حسن، النحو الوافي، ج ٢، ص ٥٢٥

٢٨- سورة البقرة، الآية ١٨٧

٢٩- سورة البقرة، الآية ١٤٣

٣٠- الدكتور ابراهيم خليفة شوشتري، مجلة العلوم الانسانية، صص ٨ الى ١٥

٣١- سورة النازعات، الآية ١٨

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2024-04-20]

[DOR: 20.1001.1.23834269.1425.11.4.1.0]

٣٢- سورة محمد، الآية ٣٨
٣٣- سورة الصف، الآية ١٤
٣٤- باء الدين ابن عقيل، شرح الالفية، ج ١، صص ٣١ و٣٢
٣٥- نفس المرجع، ج ١، ص ٣٣
٣٦- نفس المرجع، ج١، ص ٣٢
٣٧- ابن يعيش، شرح المفصل للزمخشري، ج ٤، ص ٥٠
٣٨- باء الدين ابن عقيل، شرح الالفية، ج ١، ص ٣٤
٣٩- ابن الانباري، اسرار العربية، ص ٣٠
٤٠- محمد بن عبدالله الوراق، العلل في النحو، ص ٢٥٥
٤١- نفس المرجع، صص ٢٩ و٣٠
٤٢- سورة النور، الآية ٦٣
٤٣- سورة الكهف، الآية ٢٨
٤٤- محمد علي الصبان، الحاشية على شرح الاشموني، ج ٢، ص ٩٥
٤٥- سورة آل عمران، الآية ١١٨
٤٦- سورة البقرة، الآية ٣٣
٤٧- ابن هشام، مغني اللبيب، صص ٦٧٨ الى ٦٨٢
٤٨- نفس المرجع، ص ٢٩٨
٤٩- محمد بن عبدالله الوراق، العلل في النحو، ص ١١٠
٥٠- ابن هشام، مغني اللبيب، ص ٩٨
٥١- ابن هشام، مغني اللبيب، ص ١٣١، سيبويه، الكتاب، ج ١، ص ٥٩
٥٢- ابن هشام، قطر الندى وبل الصدى، صص ٢٦٠ الى ٢٧٤
٥٣- سورة الفرقان، الآية ٥٩
٥٤- سورة طه، الآية ٧١
٥٥- الدكتور ابراهيم خليفة شوشتري، مجلة العلوم الانسانية، صص ٢ و٣
٥٦- سورة البقرة، الآية ٢٤٩

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2024-04-20]

[DOR: 20.1001.1.23834269.1425.11.4.1.0]

پدیده تضمین در قرآن

خلیل پروینی[1]، جمیل جعفری[2]

پدیده تضمین از جمله پدیده‌های مهم در زبان عربی به شمار می‌آید چرا که نقش بسیار مهمی را در توجیه و تأویل پاره‌ای از مشکلات نحوی و تفسیر و تأویل آیات قرآنی ایفا می‌کند. این پدیده در طول تاریخ مورد ارزیابی بزرگان لغت و نحو و ادب قرار گرفته و از دقایق متعدد آن پرده برداشته شده است اما به سبب وجود پاره‌ای ابهامات هنوز مشکلاتی در قبال آن به چشم می‌آید از جمله: عدم وجود تعریفی جامع و مانع، نبود بررسی جامعی از نقش کاربردی آن در زبان، و عدم تعیین جایگاه آن در علم بیان. برای حل چنین مسائلی لازم می‌آمد که مقاله حاضر نگاشته آید و در آن محورهای سه گانه فوق الذکر مورد بررسی قرار گیرد.

در محور اول پس از بررسی تعاریف متعدد و نقد هریک، تعریف جدیدی در این مقاله ارائه شده که براساس آن تضمین بصری عبارت است از تصحیح تعلق یک معمول به عامل سابق، به وسیله تقدیر یک عامل متناسب و افزودن معنای آن به عامل مذکور، و تضمین کوفی نیز تصحیح تعلق یک حرف جر به عامل سابق، به وسیله تقدیر معنای حرف یا ظرفی متناسب با عامل، در آن می‌باشد. براساس این تعریف انواع تضمین چنین است:

الف) تضمین بصری: فعل با فعل/ اسم شبه فعل با اسم شبه فعل/ حرف با فعل.

ب) تضمین کوفی: حرف با حرف/ حرف با اسم (فقط ظرف).

در محور دوم که به بررسی نقش کاربردی آن اختصاص یافته سه موضوع کلی یعنی لزوم وتعدی، نیابت و جانشینی و اعراب و بنا ارزیابی شده است. بالاخره در محور سوم پس از رد نظریات متعدد که در آن تضمین گاهی مجاز، گاهی حقیقت، گاهی جمع بین حقیقت و مجاز، گاهی کنایه و گاهی از مستتبعات کلام شمرده شده، اثبات شده است که تضمین قسم خاصی از علم بیان به شمار می‌آید.

واژگان کلیدی: قرآن کریم، نحو، پدیده تضمین

۱. استادیار دانشگاه تربیت مدرس

۲. دانشجوی دوره دکتری زبان و ادبیات عربی دانشگاه تربیت مدرس

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2024-04-20]

[DOR: 20.1001.1.23834269.1425.11.4.1.0]